لقد كان الديمقراطيون الثوريون الروس العظماء الفصيلة الطليعية في المجتمع الروسي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فدعوا الى الاشتراكية والى تغيير الواقع تغييرا ثوريا .

ولكن الديمقراطيين الثوريين لم يكونوا يدركون القوى الاجتماعية الحقيقية القادرة على قيادة نضال الكادحين في روسيا في سبيل القضاء على سلطة الاقطاعيين والرأسماليين ولذا فان برنامج عملهم كان ذا طابع « طوباوي » . ولكن نقدهم الصاعق لدولة الاقطاعيين والبرجوازيين وعظمة مثلهم الاجتماعية والسياسية كانا اسهاما قيما في الأدب والحضارة العالميين .

غير أن الأدب الطليعي في الفترة الديمقراطية الثورية لم يكن أدب الديمقراطيين الثوريين وحدهم . فقد اسهم تورغينيف اسهاما عظيما في أدب الواقعية النقدية في روسيا في القرن التاسع عشر ، وفي الفترة الديمقراطية الثورية بالذات .

كان تورغينيف الكاتب الذي أرخ في أعماله الفنية للحياة الروسية مابين الأربعينات والسبعينات من القرن الماضي . انه يستعرض في رواياته شخصيات « اللامنتمين » في الأربعينات ويقدم افضل تجسيد فني لها في شخصية « رودين » في روايته التي تحمل الاسم نفسه ويصور لنا « روسيا الفتية » المترقبة في شخصية يليناستاخوفا في روايته « العشية » في الخمسينات ، ثم يجسد لنا نموذج « الأبناء » الديمقراطيين في شخص بازاروف في روايته « الاباء والأبناء » في الستينات ، وفي السبعينات يقدم لنا تورغينيف نماذج الثوار الشعبيين في روايته « الأرض البكر » .

كانت الليبرالية الجانب الضعيف في نظرة تورغينيف الى الكون وهي التي أثرت في المعالجات الاجتماعية والسياسية في رواياته (الدخان) . غير ان دراسة الكاتب الحياة دراسة عميقة وسعيه الدائب الى معرفة الاتجاه الحقيقي الذي يجري فيه التطور الاجتماعي ومثل الكاتب الأخلاقية والجمالية السامية ، كل ذلك كان في اكثر الأحيان يزيح شخطاته السياسية المغلوطة ويرغمه على رؤية الأناس الجدد حيث يوجدون فعلا .

ولعب تولستوي ودستويفسكي دورا فذا في تطور الأدبين الروسي والعالمي . ان النفاذ الى اعماق الوعي الانساني والمشاعر الانسانية والى جوهر اعمق عمليات الحياة الاجتماعية والاحتجاج العنيف ضد نظام العالم القائم على اضطهاد الانسان للانسان وعلى